أدوات المستعصم العباسي

بقلم الاستاذ خضر العباسي

تمهيد

مما لاشك فيه ان وجود بعض ادوات الخليفة العباسي المستعصم بالله في متاحف الاستانة قد شغلت أفكار الادباء والمؤرخين وذلك لعدم وجود نص لديهم يعتمدون عليه ولاتجد مؤرخاً قديماً قد تطرق الى كيفية نقل هذه الادوات

لهذا قد اجمعت اليوم ارآء الادباء من العرب والافرنج على ان السلطان سليما العثماني قد أخذها من الخليفة العباسي المتوكل على الله بعد سقوط الخلافة العباسية من مصر سنة ٩٢٢ هـ ولكن هذا غلط فالذي يجب على المؤرخين ان يتحققوا من ذلك قبل البدء في الكتابة لأن تسرعنا في الشيء هو الذي ساقنا الى الهاوية وكان سببا في حدوث امراضنا الثقافية .

١ ـ اقرأت في العدد الخامس من مجلة الكتاب الغراء المصرية مقالا قيما عنوانه (السيف في الشرق الادني) بقلم البكباشي عبد الرحمن زكي امين المتحف الحربي جاء فيه تعريف ووصف لسيف من السيوف بما يأتي : ـ

« سيف به واقية من الحديد ومقبضه مذهب وعلى النهل اسم الخليفة المستعصم بالله الذي حكم بين سنتين « ٦٤٠ ـ ٦٥٦ هـ » ١٢٤٢ م ـ ١٢٥٨ م » وقد علق عليه في الحاشية فقال : ـ

« كان المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين في بغداد قتله هولاكو « ٢٠ نوفمبر ١٢٥٨ م » ونجح بعض افراد اسرته في الفرار الى الشام واضلوا فيها حتى اقام الظاهر بيبرس على اكتافهم الخلافة العباسيه الثانيه في مصر ولعل المستنصر كان قد نقل معه الى مصر سيف الخليفة المستعصم المذكور ويحتمل ان يكون السلطان سليم الاول قد نقل هذا السيف مع الغنائم الاخرى الى استانبول بعد سقوط دولة المماليك »

٢ ـ قرأت ايضا في العدد الاول من مجلة دار المعلمين العالية في بغداد مقالا عنوانه السلطان سليم في مصر مترجماً عن المستشرق الانكليزي توماس و . ارنولد .

لاعتب على المستشرقين والباحثين من الافرنج في كل مايكتبونه في تاريخ الشرق وذلك لعدم استقصائهم الحوادث وقلة وقوفهم على الحقيقة فكأن مايكتبونه عبارة عن طابر سبيل . فلهذا سوف اكشف اللثام عن كيفية نقل هذه الادوات الى الاستانة وهو فصل من كتابي المخطوط في تاريخ الامارة العباسية في منطقة بهدينان والعمادية التي كانت العاصمة وهو صفحة من تاريخ العراق المجهول في الحقبة المظلمة .

١ ـ الخليفة العباسي المستعصم بالله

هو ابو احمد عبدالله المستعصم بالله العباسي ابن الخليفة المستنصر بالله آخر من حكم من بني العباس في بغداد صرع في يوم الاربعاء

---

(١) تقاوم فكرة الدولة القوميه ، بانها الوحدة الرئيسيه والاساسية والاخرى في التنظيم الاجتماعي ، فالتعاون الاقتصادي للعالم الحديث جعل الدولة عضواً مهماً في المجتمع الدولي والذي ترجع اليه السلطة فقط .

(٢) ان النظريات الكلاسيكية للبرلمان وحكومة الرئاسه غير كافيه ، وهي تعكس الظروف والاحوال التي ظهرت في القرن التاسع عشر اكثر من عصرنا الحاضر .

والقاعدة التي ترتكز عليها تحتاج الى اصلاح ذي ثلاثة اوجه

١ ـ اللامركزية : فالمناطق المحليه يجب ان لا تقيدها السيطرة المركزية .

٢ ـ الاتحاد الاقتصادي :

٣ ـ اعادة تنظيم الحكومات المركزية على اساس جديد واخيراً فان الحرية بالنسبة للديمقراطية تعني المساواة ..

الكاظمية

عبد الجليل علي الطاهر

١٤ صفر سنة ٦٥٦ الهجرية على يد البرابزة هولاكو وامرائه وجنوده مع ولديه الكبير والوسط وقد رثاه الشاعر شمس الدين محمد بن عبد الله الكوفي الواعظ فقال .

ياعصبة الاسلام نوحوا واندبوا
أسفاً على ماحل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانة
لابن الفرات فصار لابن العلقمي

لما قتل الخليفة وابنه نقلهم الجند خفية ليلا الى تربة الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ودفنوا هناك وذلك لان الجامع يقع على مقربة من الباب الوسطاني وهو جامع قديم العهد وحب الفناء فيه مدرسة علمية أنشاها جدنا اسماعيل باشا العباسي سنة ١٢٦٤ الهجرية ثم ايضا بنى فوق قبري جده الخليفة المستعصم بالله وابنه قبة قرب ضريح الشيخ الزاهد عمر السهروردي يقول جدي احمد بك بن الامير اسماعيل باشا العباس في مذكراته « ١ »

« نقلت من كتاب خطي وجدته عند الشيخ العلامة عبد الرحمن العباسي المدرس في مدرسة والدي هذه العبارة ، لقد نقل الجند جثة الخليفة المستعصم بالله وابنه ليلا بعد الحادثة المشؤمة الى جامع الشيخ عمر السهروردي ودفنوهم هناك وقد كانت وفاته رحمه الله سنة ٦٥٦ الهجرية على أثر الخيانة التي دبرها له ابن العلقمي عند هولاكو الوحشي . وقد اشاد والدي اسماعيل باشا قبة فوق القبرين عندما بنى المدرسة في الجامع ايام ماكان اميراً في بغداد عند الوالي علي رضا باشا »

اما مايزعم ابن بطوطة الرحالة العربي من انه راى قبر المستعصم بالله بمقبرة الخلفاء « الرصافة » عند مازار بغداد سنة ٧٢٦ هـ فلا صحة له والقبران موجودان في الجامع اليوم .

٢ — عائلة الخليفة العباسي المستعصم بالله

على أثر مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ ودخول الجحافل المغولية بغداد واعلان سقوط الخلافة العباسية بدأ المغول بقتل اولاد الخليفة وتشتيت امراء البيت العباسي فقتلوا ولده ابا العباس احمد وكان مولده سنة احدى وثلاثين وستمائة وله من الاولاد ابو الفضل محمد ورابعة وهي التي تزوج بها خواجه هرون بن الصاحب شمس الدين الجويني ومولدها يوم عيد النحر سنة خمس وخمسين واختها ست الملوك ثم قتل ابن الخليفة الاوسط ابو الفضل عبد الرحمن ومولده سنة ثلاث وثلاثين وله من الاولاد ابو القاسم محمد وبنت واحدة واما ولد الخليفة الأصغر مبارك واخوته فاطمة وخديجة ومريم فانهم لم يقتلوا بل اسروا « ١ »

٣ — مصير ابي المناقب الامير مبارك العباسي

ولد الأمير أبو المناقب مبارك بن الخليفة المستعصم بالله حوالي سنة ٦٣٥ هجرية في مدينة بغداد واسر على أثر الحادثة المشؤمة بعد قتل والده واخواته وقد وهبه المغول الى اولجاي خاتون وهذه ارسلته الى مراغه وكان مع الخواجة نصير الدين الطوسي فزوجوه بامرأة مغولية فولد لها ولدان (٢)

وبقي أبو المناقب الامير مبارك العباسي في الاسر ما يقارب سبعة سنوات وبعد ذلك اطلق سراحه من قبل أبي المعالي الامير ناصر الدين بركة خان المغولي وايضاً مساعي بنت أخيه رابعة زوجة الامير شمس الدين الجويني ولما وفد الى بغداد احتفل به العلماء والاشراف والشعراء وبقي فيها الى ان توفي في سنة ٦٧٧ الهجرية في بغداد قال صلاح الدين الصفدي . (٣)

(مبارك بن عبد الله بن منصور الامير ابو المناقب ابن أمير المؤمنين المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء بغداد روى عن أبيه وروى عنه الفوطي ولما مات احتفل لعزائه اهل

« ١ » لدي نسخة خطية تحت عنوان مذكرات بقلم جدي احمد بك تبحث من تاريخ عائلتنا ونسبنا وعن كيفية مجيئنا الى كردستان

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ص٢٢٦

(٣) اصول الادب والتاريخ من المجموعة الخطية لصديقنا الدكتور مصطفى جواد .

بغداد ورثاء الشعراء وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وستمائة ه

لما توفي ابو المناقب الامير مبارك العباسي ترك ولدين وبنت وخلف ادوات والده المستعصم بالله وهي الجبة والسيف والزبون والنعال والسجادة وأواني بيته .

وفي حوالي سنة ٧٠٠ هجرية عين الامير غازان حفيد هولاكو الامير ناصر بن الامير مبارك وأخيه على منطقة هكاري في تركية وعلى مرور السنين توسعت الامارة وفي أواخر القرن الثامن الهجري انقسمت الى ثلاثة اقسام

١ — امارة هكار وعاصمتها جولرك ٢ — امارة بهدينان وعاصمتها العمادية ٣ — امارة شمدينان وعاصمتها اكيل .

فامارة بهدينان أسسها الامير بهاء الدين بن الامير منصور ابن الامير ناصر بن الامير ابي المناقب مبارك العباسي واستمرت في حكم شمال العراق ما يقارب أربعمائة سنة تقريباً وسقطت هذه الامارة العباسية سنة ١٢٥٩ ه على عهد جدنا اسماعيل باشا بن الامير محمد طيار باشا بن الامير بهرام باشا بن الامير زبير بن الامير قباذ بن الامير يوسف خان بن الامير سيد خان بن الامير قباذ بن الامير سلطان حسين بن الامير حسن بن الامير سيف الدين بن الامير زين الدين بن الامير بهاء الدين بن الامير منصور بن الامير ناصر بن أبي المناقب الامير مبارك بن الخليفة العباسي المستعصم بالله (ض)

٤ — استعمال الامراء الادوات

لقد استعمل الامراء طوال بقاء حكم الامارة ادوات جدهم الخليفة العباسي المستعصم بالله التي ورثوها وكانت تنتقل من امير الى آخر بالوراثة وقد حافظوا عليها واحتفظوا بها الى ان سقطت الامارة سنة ١٢٥٩ ه نقلها جدنا اسماعيل باشا العباسي معه الى بغداد وبعد وفاته ورثها ابنه احمد بك واليك ما كتبه بعض المؤرخين والمستشرقين من العرب والافرنج قال الاديب محمد أمين العمري الموصلي .

(والعمادية قلعة حصينة مكينة تناطح الافلاك في شمال الموصل ملوكها جماعة من الامراء ينتسبون الى العباس وهم في اكراد الجبال كالخلفاء في وقتهم (١)

(١) تاريخ منهل الاولياء في مشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدباء ص ١٢ من مخطوطتي

وقال المسيو ريج المستشرق الشهير في الامارة العباسية ووصف سيرة الامراء .

(من بين العائلات الحاكمة في كردستان عائلة بهدينان وعاصمتها في العمادية . هي أنبل عائلة ولها قداسة وتنسب الى الخلفاء ... وشخص الامير مقدس بحيث انه اذا تقرب من القبائل وهم في اعنف معركة يلغى المقاتلون سلاحهم ويتخذ الامير حالة الخلفاء العباسيين المتأخرين (١)

ويقول الرحالة الشهير لايارد الانكليزي الذي يعد من اوثق المؤرخين في الوقوف على سير الحوادث .

(كانت للعمادية فيما سلف من الدهر منزلة عظيمة لها خطورتها ونفوذها اذ تضم تحت جناحيها شعب عظيم زاهر تحكمها الباشوات بالوراثة التي تتصل انسابهم الى الخلفاء العباسيين) (٢)

ويطول بنا اذا جمعنا كل ما كتبه المؤرخون والمستشرقون في مختلف اللغات العربية والتركية والفرنسية والفارسية والانكليزية والروسية . وغرضي من ادماج بعض اقوال هؤلاء في وصف الامارة العباسية اعطاء القارئ فكرة واضحة عن تأريخ هذه الاسرة المهمل .

٥ — نقل الادوات

على اثر وفاة جدنا اسماعيل باشا العباسي سنة ١٢٩٢ ه في بغداد نقل الاتراك ابنه احمد بك الى الاستانة وبقي فيها مدة من الزمن . وفي خلال هذه المدة كانت الصلة بينه وبين السلطان عبد المجيد قوية جداً فطلب السلطان في في أحد الايام من جدنا أحمد بك السيف والجبة ولما لم يتمكن على الامتناع من ذلك قدمهم له على شكل هدية فتقبلها السلطان وبقي شاكراً منه .

أما اليوم فلم يبق عندنا سوى زبون المستعصم بالله العباسي محفوظاً في مكان مصوناً من التلف . هذا ما أردت بيانه ليكون المؤرخون والادباء على علم من ذلك وسوف اشرح ذلك مفصلا في كتابي المخطوط الذي الفته في تاريخ عائلتنا

(١) كتاب المسيو ريج الجزء الاول

(٢) رحلة لا يارد

الحاجب المنصور

— ١ —

للاستاذ عبد الهادي المختار

في يوم من أيام ربيع سنة ست وثلثمائة للهجرة طاب نسيمه وراق جوه وصفا أديمه . خرج ثلاثة فتية من طلاب جامعة قرطبة يتأبطون كتبهم الى خارج اسوار المدينة حيث المزارع والحقول والحدائق والازهار يروحون عن نفوسهم ويستذكرون ما استعصى عليهم من مباحث .

جلس الفتيان الثلاثة على العشب وسط الخضرة بين المياه ثم فتحوا كتبهم وصاروا يستمعون الى احدهم يقرأ ويشرح وغرقوا في بحر من التفكير والتتبع وقد اصغى اثنان منهما الى زميلهما الذي استهواهما بسحر إلقائه وحسن تتبعه ودقة تصرفه وتعبيره وتفسيره .

كان الطلاب الثلاثة في الدورة المنتهية من جامعة قرطبة وكان كل منهم من بلد والجميع في سن متقاربة . أولهم وهو الذي كان محور المناقشة والبحث شاب ربع القامة مسبط الهامة براق العينين يشع منهما الذكاء . نافذ النظرات يتسلط على مخاطبه بقوة سحرية سرها في عينيه . قدم قرطبة من الجزيرة الخضراء طالباً للعلم والأدب وسماع الحديث .

أما الاثنان الآخران وكل منهما من بلد فلم يكونا كصاحبهما قوة تأثير وجاذبية وسحر ولذا أصبح الأول

مع تصاوير الادوات ولدي فرمان بتسلم الادوات ومنحنا في مقابل ذلك قرى واملاكا علاوة على راتب تقاعد كنا نتقاضاه شهرياً (٤)

خضر العباسي

(٤) المذكرات الخطية لجدنا أحمد بك

بحكم صفاته متقدماً عليهما في كل الأمور حتى في المذاكرة والتتبع والبحث .

وكما هي الحال عند جميع الطلاب في جميع الأقطار والامصار والازمنة اذا أصابهم السأم والملل واعتراهم الضجر والكلل نبذوا بكتبهم ناحية وتجاذبوا أحاديث لا صلة لها بالعلم . احاديث مسلية تروح عنهم وتذهب سأمهم وملالهم فيذكرون النكات المضحكة والآمال الصبيانية والاحاديث التافهة .

وهكذا رمى فتياننا الثلاثة كتبهم جانباً وظلوا يتجاذبون اطراف الحديث مما هنا وهنالك إلا أن الفتى الأول كان يشارك صاحبيه عبثهما وهزلهما وضحكها في الظاهر فقط أما فكره فكان في واد آخر . كان يحلم بآمال عظام ومشاريع جسام . وانتبه الرفيقان الى صاحبهما والى شذوذه عنهما في أفكاره .

سأله احدهما عما يشغله . ويعكر عليه صفوه :

— مالك قد شطت بك الأفكار وسرح بك الخيال ؟

فأجابه الثاني :

— انا اعرف الناس بما يشغله . إن صاحبنا محمد يا صديقي يحلم ان يصبح أمير الأندلس .

ثم ضحك الصديقان .

اعتدل محمد عند ذاك في جلسته وقطب ما بين حاجبيه ونظر شزراً إلى صاحبيه :

— ولم لا أصبح امير الاندلس وسيدها ؟

فلم يحر الاثنان جواباً . وصمت . ثم تابع حديثه واستمر في كلامه :

— ليتمن على كل منكما ما يتمناه . فاني سأصبح أميراً على الاندلس .

كان الرفيقان يكتمان ضحكة يوشكان ان ينفجرا بها . ولكنها كتما ذلك احتراماً له .

قال الاول :

— والله لا أدري ايها الصديق ماذا اتمنى . ولكنني كما تعلم احب التين ولا اشبع منه . وما يقدم في الجامعة على المائدة